

# الفصل

## الخامس

### الدين والصراع الدولي

#### 1) المعتقدات البدائية

كانت معتقدات قدماء العرب الدينية بسيطة بساطة حياتهم الاجتماعية<sup>(1)</sup>. فلم تتعد عبادة وتقديس بعض مظاهر الطبيعة وقواها ، والاعتقاد بمخلوقات وهمية كالجن والغول والسحرة<sup>(2)</sup>.

وفيما بعد أفضى تطور القوى المنتجة ، وقيام صلات حضارية بين الجزيرة العربية ،

---

(1) خربوطلي: الحياة الاجتماعية في الحجاز قبيل ظهور الإسلام ص38.

(2) الجاحظ (أبي عثمان عمرو بن بحر) الحيوان - دار أحياء التراث العربي بيروت ط 3 1388هـ 1969 م ج6 ص217 يختصر إلى الجاحظ: الحيوان.

والعالم الخارجي إلى تطور في مستوى الوعي الديني عند العرب، تمثل في تراجع الظاهرات الدينية البدائية دون زوالها نهائياً، وظهور الوثنية التي غدت أكثر الأشكال الدينية انتشاراً، وأقواها جذوراً في المجتمع قبل ظهور الإسلام<sup>(٤)</sup>، لأنها كانت انعكاساً لأوضاعهم الاجتماعية وشروطها المادية، وهي على أشكال مختلفة ذكرها القرآن الكريم<sup>(٥)</sup>.

فلما كانوا محترفين للزراعة والتجارة، فقد برزت لديهم عبادة النجوم، والكواكب السيارة، مثال على ذلك أن كنانة وقريش وطائفة من تميم عبدت الدبران<sup>(٦)</sup>. ولخم وخزامة وحمير عبدت الشعري<sup>(٧)</sup> والعبور وعبدت طيء سهيلاً، وعبدت أسد عطار<sup>(٨)</sup>.

أما تقديس الأشياء المادية كالحجارة مثلاً اعتقاداً بوجود قوة سحرية (الروح) تحل فيها، فقد كانت أكثر الديانات البدائية شيوعاً في الحجاز، كان الرجل منهم إذا سافر منزلاً، أخذ أربعة أحجار فنظر إلى أحسنها فاتخذها رباً وجعل ثلاثة أثافي لقدره، وإذا ارتحل تركه، فإذا نزل منزلاً آخر فعل مثل ذلك، فكانوا ينحرون ويذبحون عندها ويتقربون إليها<sup>(٩)</sup>.

وآمنوا بوجود صلة لهم بحيوان أو نبات<sup>(١٠)</sup>، فإن ذل هذا على شيء، فإنه يدل على أن

---

(1) ابن الكلبي: الأصنام ص10 وما بعد

(2) سورة نوح الآية 21 وما بعد.

(3) الدينوري: الأنواء ص37 - 38.

دلو: جزيرة العرب ج2 ص170

(4) الدينوري: الأنواء ص46.

لسان العرب: مادة عبر، تاج العروس مادة عبر

(5) ابن العبري: تاريخ مختصر الدول ص159.

(6) ابن الكلبي: الأصنام ص33.

وينظر الطبري: جامع البيان ج19 ص17.

(7) اعتقدت بعض القبائل بوجود صلة لها بحيوان أو نبات يكون في نظرها مقدساً فإذا كان حيواناً لا تقدم

على قتله أو نباتاً لا تقطعه ولا تأكله إلا في أوقات المجاعة والشدة، وقد سميت هذه الديانة الطوطمية.

خان: الأساطير العربية قبل الإسلام ص25.

جرجس: أديان ص13

وايي: الأسرة والمجتمع ص7

ضيف: العصر الجاهلي ص89.

أقدم آلهة العرب كانت متصلة بالطبيعة وقواها الخفية.

ومع تطور القوى المنتجة، وازدياد الصلات مع العالم الخارجي، تطورت لديهم هذه المعتقدات، فظهرت الوثنية وغدت أشكالاً وألواناً مختلفة واتخذت لها المعابد، وكان لها سدنة وحجاب، يحجون إليها، ويطوفون بها، ويقدمون لها القرابين والنذور والعطايا لنيل رضاها، ودفع الأذى عنهم<sup>(١٤)</sup>.

وتطور مستوى الوعي الديني، فاعتقد أناس من العرب بالرجعة<sup>(١٥)</sup> والمسح<sup>(١٦)</sup>. والثنوية<sup>(١٧)</sup>، والقضاء والقدر<sup>(١٨)</sup>، والقدرية<sup>(١٩)</sup>، والزندقة<sup>(٢٠)</sup> ودانت جماعات باليهودية والنصرانية.

إذن لم يكن للعرب قبل الإسلام عقائد دينية موحدة في نظام ديني شامل، مع العلم أن الوثنية نشأت كتعبير ديني عن العلاقات القبلية التعددية الانقسامية، وكانت أكثر الظواهر الدينية انتشاراً في الجزيرة العربية قبل ظهور الإسلام.

---

(1) ابن الكلبي: الأصنام ص27 وما بعد

ابن حبيب: المحبر ص310،

ابن كثير: البداية والنهاية ج2 ص192

الألوسي: بلوغ الأرب ج2 ص205

(2) الرجعة: منذهب قوم من العرب في الجاهلية، ويعني الرجعة للدنيا بعد الموت، لسان العرب مادة رجع.

(3) المسح: تحويل صورة إلى صورة أقبح منها. لسان العرب مادة مسح.

(4) الثنوية: وهو أن للعالم إلهين أحدهما خير وهو معدن النور، والآخر شر وهو معدن الظلمة، وأنهما تمازجا فانحصر الخير على الشر فانقل الشر إلى جهة الجنوب ليعمل هناك عالماً ويتسلط عليه، وهي نوع من الزندقة.

ابن العبري: تاريخ مختصر الدول ص130

سالم: تاريخ العرب ص480

(5) القضاء والقدر: القضاء الخلق والقضاء والقدر أمران متلازمان لا ينفصل أحدهما عن الآخر لأن أحدهما بمنزلة الأساس وهو القدر والآخر بمنزلة البناء وهو القضاء، لسان العرب مادة قضي.

(6) القدرية: الإنسان خالق لإفعاله ومسؤول عن عمله من خير أو شر، وهم معتزلة أيضاً، وإنما لقبوا بالقدرية لنفيهم القدر لا لإثباتهم إياه بأنهم يقولون إن العبد الخالق لأفعاله خيرها وشرها مستحق على ما يفعله ثواباً أو عقاباً.

ابن العبري: تاريخ مختصر الدول ص165 جواد: المفصل ج6 ص161

(7) الزندقة: والزنديق: القائل بنوام بقاء الدهر وإنكار الآخرة والخلق والخالق والرسول. لسان العرب مادة زندق.

وبما أن موضوع البحث هنا عن الدين والصراع الدولي فسيقتصر الحديث عن الديانات التي كانت مجالاً لهذا الصراع وهي اليهودية والمسيحية حيث أصبح إعلان هذا الدين أو ذلك وسيلة لإقامة العلاقات مع بيزنطة أو إيران.

## (2) اليهودية

### آ- اليهودية في الحجاز والعربية الغربية

اضطربت أقوال المؤرخين حول أسباب ظهور الديانة اليهودية في بلاد العرب، ولكن بما أن فلسطين امتداد طبيعي للمنطقة الغربية من بلاد العرب، فمن الطبيعي اتصال سكانها بالحجاز واتصال سكان الحجاز بفلسطين، وذهاب جاليات يهودية إلى العربية الغربية للاتجار، ولإقامة هناك. خاصة بعد استيلاء الدول الكبرى على فلسطين، وهجرة اليهود إلى الخارج<sup>(١)</sup>. إن فلسطين جزء متمم للحجاز جغرافياً ومنفذه التجاري، وميناء غزة من المواضع التي كان يقصدها تجار الحجاز للاتجار، والحركة مستمرة دوماً بين فلسطين والحجاز<sup>(٢)</sup>، فمن الطبيعي أن يوجد اليهود في الحجاز، وينتشروا في أماكن متعددة ويستقروا في مواضع المياه والعيون، وفي الأرض الخصبة، والعامرة من وادي القرى، وتيماء وخيبر إلى يثرب. وبحكم وجودهم في مثل هذه الأرض فقد مارسوا الزراعة والتجارة والصناعة وإقراض المال برّياً فاحش للمحتاجين إليه<sup>(٣)</sup>، أضف إلى ذلك أنهم كانوا يبيعون بالرهن. يرهن المشتري بعض أمتعته عندهم ليستدين منهم ما يحتاج إليه، وقد ورد أن الرسول (ص) رهن درعاً له عند يهودي من أهل يثرب في مقابل شعير كان به

(1) ولفنسون: اليهود في جزيرة العرب ص9.

جواد: المفضل 51/6

(2) جواد: المفضل 516/6

(3) الريا: الزيادة على أصل المال من دون عقد تبايع.

لسان العرب مادة ربا.

ولفنسون: اليهود في جزيرة العرب ص18 وما بعد

جواد: المفضل 511/6.

وقد وجه القرآن الكريم إليهم بسببه أشد تقريع، وأنبهم أعنف تأنيب قال تعالى: " فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليه طيبات أحلت له ويصدهم عن سبيل الله كثيراً وأخذهم الربا وقد نهوا عنه وأكلهم أموال الناس بالباطل واعتدنا للكافرين منهم عذاباً أليماً ".  
سورة النساء الآية 158 .

حاجة شديدة إليه (ع).

ولذلك فقد أثروا ثراءً فاحشاً، ومن أجل ذلك بنوا الأطم<sup>(ب)</sup> لحماية أنفسهم بالاتفاق مع رؤساء القبائل الساكنة في جوارهم على دفع إتاوة لهم، أو على تقديم الهدايا إليهم لاسترضائهم، وكان من شأنهم أيضاً التفريق بين الرؤساء، وإثارة الشحنة بين القبائل، حتى لا تصفوا الأحوال فيما بينهم، وتلتئم، ولئلا يكون اتفاقها والتحامها خطراً يهدد اليهود. وقد أدى التنافس بين سادات اليهود، إلى نشوب معارك بينهم في الجاهلية أشار إليها القرآن الكريم وأنبيهم على ذلك<sup>(ت)</sup>، كحرب سمير ويوم السرارة وحرب الفجار ويوم الفجار الأول والثاني<sup>(ي)</sup> وغيرها.

وقد خضع اليهود في نظامهم السياسي والاجتماعي لرؤسائهم وساداتهم، فكانوا يدفعون لهم ما هو مفروض عليهم أدائه في كل سنة، وهؤلاء السادة هم أصحاب الأطم والحصون، والأرض، ولمن يشتغل في الأرض تسديد ما عليه لصاحبها في مقابل استغلاله لها، وقد اعتنوا عناية خاصة بزراعة النخيل، وعرفت القطعة من الأرض المزروعة نخلاً عندهم بالصورين<sup>(س)</sup> الصورة.

وتولى الأحرار الأمور الدينية، وتنفيذ الأحكام، والنظر فيما يحدث بين الناس من خصومات يقيمون لهم الصلوات، وبقية طقوس دينهم ويعلمونهم في بيوت المدارس<sup>(ث)</sup>. والجدير بالذكر أنه كان بالطائفت قوم من اليهود طردوا من اليمن ويثرب فجاؤوا إليها.

(1) البخاري: صحيح البخاري 887/2 - 888.

وينظر أيضاً ولفنسون: اليهود في جزيرة العرب ص 18.

جواد: المفضل 535/6

(2) الأطم والأطم: حصن مبني بحجارة، لسان العرب مادة أطم

(3) سورة البقرة: الآية 84 وما بعدها.

(4) ابن الأثير: الكامل في التاريخ 588/1 - 658 - 678.

وينظر السهمودي وفاة الوفا 215/1.

جاد المولى: أيام العرب ص 62 وما بعد.

(5) تاج العروس: مادة صور

لسان العرب مادة صور

(6) جواد: المفضل 533/6

وقد وضعت الجزية عليهم أيام الرسول (ص) ومنهم ابتاع معاوية أمواله بالطائف<sup>(١)</sup>.  
ولكن لم تكن لهم جاليات كبيرة في جنوب المدينة حتى اليمن لعدم إشارة أهل  
الأخبار إليهم.

ولكن لا يستبعد وجود أفراد وأسرى منهم في مكة، وفي عدن، وفي المدن التي  
اشتهرت بالتجارة كبعض موانئ البحر الأحمر، وموانئ سواحل العربية الجنوبية، غير أن  
وجودهم في هذه المواضع لم يكن له أثر واضح مهم فلم يتجاوز محيطاً التجارة  
والأجار<sup>(٢)</sup>.

لقد اختلط اليهود بالعرب، وتعايشوا معهم، وكانوا في حياتهم الاجتماعية  
والسياسية كالعرب<sup>(٣)</sup>، حتى أن أسماءهم حملت الطابع العربي، فتعرب بعض منهم  
كالشاعر السموءل بن عادي<sup>(٤)</sup> إلا أنهم على الرغم من اختلاطهم بالعرب، وتعايشهم  
معهم لم يؤثر في العرب ولم يستطيعوا أن ينجحوا في نشر اليهودية بينهم بشكل كبير،  
حيث ذكر تهود قسم من العرب، فقد كانت اليهودية في حمير، وبني الحارث بن كعب،  
وبني كنانة، وكندة<sup>(٥)</sup>، وغسان<sup>(٦)</sup>.

#### ب- اليهود في العربية السعيدة

وجدت اليهودية في العربية السعيدة، فقد ذكر اليعقوبي أن ممن تهود من العرب، "  
اليمن بأسرها، كان تبع حمل حبرين من أخبار يهود إلى اليمن.

---

(١) البلاذري: فتوح البلدان ص 67- 68.

جواد: المفصل 530/6

(٢) جواد: المفصل 530/6

(٣) جواد: المفصل 532/6

(٤) جواد: المفصل 771/6

(٥) ابن حزم: الجمهرة 491/2.

ولفنسون: اليهود في جزيرة العرب ص 40

جواد: المفصل 514/6.

سالم: تاريخ العرب في عصر الجاهلية 334، يونس: كندة ص 13

(٦) المقدسي: البدء والتاريخ 182/3 وما بعد.

ولفنسون: اليهود في جزيرة العرب ص 26. جواد: المفصل 514/6

سعد: تاريخ العرب قبل الإسلام ص 362

فأبطل الأوثان، وتهود من باليمن، وتهود قوم من الأوس والخزرج بعد خروجهم من اليمن، لمجاورتهم يهود خيبر، وقريظة والنضير، وتهود قوم من بني الحارث بن كعب، وقوم من غسان، وقوم من جذام<sup>(لج)</sup>.

وذكرت طريقة من طرقت تهود بعض العرب " كان من نساء العرب من تنذر إذا ولدت، وعاش ولدها أن تنهت، لأن اليهود كانوا في نظرهم أهل علم وكتاب<sup>(ب)</sup>."

فاليهودية من ناحية التبشير كانت جامعة خادمة لايهمها نشر الدين، بقدر ما تهمها المحافظة على الحياة، وعلى المركز الذي توصلت إليه، وعلى تجارتها التي تعود عليها بمال غزير، لهذا فهي لم تهتم بحركة إلا إذا وجدت فيها فائدة لها، ومنفعة ترتجى منها، ولم تحارب رأياً إلا إذا وجدت أنه سيكون خطراً عليها، فحاربت النصرانية في اليمن لما وجدت الروم يسيرون على سياسة معادية لليهودية، وأن النصرانية مهما كانت كنيستها هي فرع من شجرة واحدة هي الشجرة التي يقدسها الروم، فامتداد أي فرع منها إلى اليمن كفيل بتحقيق ما ترغب به بيزنطة في البلاد العربية، وإلحاق الأذى منها بإخوانهم اليهود.

قد لا يوجد بين القبائل العربية يهود مبشرين لإقناعها بمختلف الوسائل والطرق للدخول في دين يهود، كما فعل النصاري، لهذا انحصرت سكنى اليهود، كما سبقت الإشارة إلى ذلك في المواضع الخصبة وطرق المواصلات من جزيرة العرب.

لهذا لا يعرف إلا القليل جداً مما يتعلق بالأساليب التي انتشرت بها اليهودية وسط أعيان حمير<sup>(ج)</sup>، واضطربت أقوال المؤرخين في أسباب ظهورها، منها:

(1) - نتيجة لنضال عنيف وقع بين اليهودية والنصرانية تمكنت فيه الأولى من أن تتغلب على الأخرى في بادئ الأمر.

(2) - تنبه ملوك حمير لحيل ملوك الروم في نشر الديانة المسيحية بغية ضم اليمن إلى أملاكهم، فهداهم فكرهم إلى أن يعتنقوا الديانة اليهودية ليقاوموا ديناً توحيدياً بدين توحيدى آخر.

وقد أصاب ملوك حمير في هذه الفكرة كل الإصابة لأن اعتناقهم لليهودية قضى

---

(1) تاريخ اليعقوبي 257/1.

وينظر جواد: المفضل 514/6

(2) ولفنسون: اليهود في جزيرة العرب ص 88.

(3) بيوتروفسكي: اليمن قبل الإسلام ص 236.

على كل الحجج التي كان ملوك الدولة الرومية يعتمدون عليها في الترويج لدعوتهم السياسية، وانقطعت الوسائل التي كانوا يتوسلون بها للتأثير في عقول أفراد الشعب وجماعاته<sup>(١٤)</sup>.

وتاريخ ظهور اليهودية في بلاد حمير موضع جدل عنيف بين العلماء، فريق منهم يقرر أن دولة حمير اليهودية ظهرت في القرن الأول ق. م<sup>(١٥)</sup>. وآخرون يرون أن ظهور اليهودية في اليمن لم يسبق القرن الثاني الميلادي<sup>(١٦)</sup>.

والمؤرخون العرب يؤيدهم طائفة من المؤرخين الغربيين يرون أن دولة حمير اليهودية لم تظهر إلا في القرن الخامس الميلادي<sup>(١٧)</sup>.

فبزعم الإخباريين أن تبعاً<sup>(١٨)</sup> وهوتبان أسعد أبو كرب اهتدى إلى هذه الديانة عند اجتيازه ليشرب، وهو عائد إلى اليمن من حرب قام بها، وذلك بتأثير حبرين من أحبار بني قريظة عاملين راسخين في العلم حيث هديا تبع إلى اليهودية، وأبعدها عن عبادة الأوثان، فاتبعهما وأخذهما معه إلى اليمن، ودعا قومه إلى الدخول في الديانة اليهودية فأجابوه<sup>(١٩)</sup>.

(1) ولفنسون: اليهود في بلاد العرب 35-36.

(2) ولفنسون: اليهود في بلاد العرب ص36.

(3) ولفنسون: اليهود في بلاد العرب ص38.

(4) ولفنسون: اليهود في بلاد العرب ص38.

سوسة: العرب واليهود في التاريخ ص596.

(5) تبع والتبابعة أما بمعنى أن الناس يتبعونهم، وأما بمعنى أنه يتبع بعضهم بعضاً.

قلقشندي: صبح الأعشى 24/5.

(6) وهب بن منبه: التيجان 294-296.

حميري: ملوك حمير 146.

ابن هشام: السيرة 20/1 وما بعد.

ابن حبيب: المحبر 367.

تاريخ اليعقوبي 1/198.

الطبري: تاريخ الرسل والملوك 2/105 وما بعد.

نيلسن: التاريخ العربي 302.

سيدديو: تاريخ العرب 47-48.

جواد: المفصل 537/6، سعد: تاريخ العرب قبل الإسلام 360.

سوسة: العرب واليهود في التاريخ ص596، عقيلي: اليهود في شبه جزيرة العرب ص74.

قد يكون لهذه الرواية شيء من الصحة، إلا أن هذه الأسطورة، تحكي عن تهود الملك، وتعكس النفوذ الكبير للديانة اليهودية، وسطح قمة المجتمع اليمني، وتتضمن أصداء نزاعات حقيقية، ما مؤداها التناول على المقدسات الوثنية، وتدل على نفوذ اليهودية إلى أعيان المجتمع، وليس إلى المجتمع بأسره، إذ لا يعقل أن يكون دخول اليهودية إلى اليمن عن هذا الطريق فقط.

فلو كان ذلك صحيحاً، لأحدث دخول اليهودية فتناً داخلية، إلا أنه كان هناك أناس من ذوي النفوذ السياسي سمحوا للديانة اليهودية التوحيدية أن تتسرب إلى اليمن، وتركوها تنتشر شيئاً فشيئاً، أو ساعدوا على انتشارها بين الشعب، قبل أن يعلن تبان أسعد أنها صارت دين البلاد.

على أن المعقول أن يكون اليهود قد وجدوا في تلك الأرجاء منذ زمان بعيد، وإذ لا يمكن أن يكون اليهود انتشروا في بلاد الحجاز في حين لا يكون منهم أحد في بلاد اليمن، لاسيما وعدد كبير من اليهود تجار دأبهم التنقل والارتحال لتبادل البضائع في مختلف البلدان، فلا بد أن يكون هناك جماعة يهودية قد وصلت إلى ثغور اليمن، وحضرموت، ثم توغلت إلى الداخل شيئاً فشيئاً، ثم تأصلت جذورها وظهر الميل عند قيل أو عدة أقيال لاعتناق اليهودية، كما اعتنقت بطون عربية الديانة المسيحية بسبب نفوذ الرهبان وانتشار الدعوة إليها تدريجياً.

وقد يكون في حكم الممكن أنه بعد أن قتل تبان أسعد راجعاً من يشرب جمع الأقيال المتهودة، وكون فيها دولة حميرية يهودية لصدد هجوم الدولة الحبشية وسد السبيل في وجه مطامعها ولمنع انتشار النصرانية التي كان ملوك الروم يتوسلون بها إلى تنفيذ مطامعهم التوسعية.

ففي نجران، وهي منطقة زراعية خصبة، وذات موقع تجاري هام على طرق القوافل بين اليمن والشام من جهة، وبين اليمن وبلدان الخليج والعراق على طريق عاصمة دولة كندة من جهة أخرى، أنشأ المهاجرون اليهود مستوطنات لهم، عاشوا فيها مع غيرهم من عرب المنطقة الوثنيين والمتنصرين<sup>(١)</sup>.

دلو: جزيرة العرب 220/2

شكري: الأوضاع القبلية 166.

(1) بيوتروفسكي: اليمن قبل الإسلام ص 236.

من كل ذلك يستخلص أن دخول اليهودية إلى اليمن مرده إلى التجارة واتصال اليمن منذ عهد قديم بطرق القوافل التجارية البحرية والبرية ببلاد الشام، وإلى هجرة جماعات من اليهود إليها عن طريق الحجاز، جذبهم إلى هذا القطر المتحضر، ازدهار التجارة، وتقدم الزراعة فيه. على أن هناك عوامل أخرى لظهور الديانة اليهودية في اليمن وهي أن ملوك حمير لم يخشوا على أنفسهم من اعتناق اليهودية من أن تتسلط عليهم دول ذات سلطان كبير، ونفوذ واسع، إذ لم يكن لليهودية في ذلك الوقت دولة سياسية، في حين أن النصرانية، كانت تعتمد على الإمبراطورية البيزنطية الطامعة في فتح بلادهم، ثم أن تعاليم الديانة المسيحية التي كانت تستمد بعض تعاليمها يومئذ من الفلسفة اليونانية كان لها أثر كبير في انتشار اليهودية في بلاد اليمن<sup>(٤٤)</sup>.

ورد في أخبار الشهداء الحميريين أن أخباراً من فلسطين من طبرية، كانوا قد جاؤوا إخوانهم في الدين، يهود اليمن وسكنوا معهم<sup>(٤٥)</sup>.

ومعنى ذلك أن الصلات بين يهود اليمن، ويهود فلسطين كانت موجودة، وأن يهود اليمن لم يكونوا بمعزل عن يهود فلسطين، ويجب أن يقال مثل ذلك عن يهود الحجاز، إذ لا بد وأن يكون لليهود الحجاز اتصال بيهود فلسطين، وبيهود اليمن<sup>(٤٦)</sup>.

تذكر مصادر القرن السادس اسم شخصين من أعيان حمير ينتسبان إلى عشيرة ذي يزن، وكان يدينان باليهودية، وكلاهما ابن لأمة، أحدهما ملك حمير ذو نواس، الذي كان ابناً لأمة يهودية من أهل نصيبين<sup>(٤٧)</sup>.

### ج- اليهود في باقي الجزيرة العربية

---

جواد: المفصل ج6 ص541.

دلو: جزيرة العرب 2/221

(1) ولفنسون: اليهود في بلاد العرب ص37.

(2) الشهداء الحميريون ص47.

وينظر بيغوليفسكايا: العرب على حدود بيزنطة وإيران ص104.

(3) التوراة: سفر أخبار الأيام الثاني الفصل 16 - 17.

قاسمية (خيرية) وعبد الله علي إبراهيم، يهود البلاد العربية مركز الأبحاث الفلسطينية بيروت 1971

ص135، يختصر إلى قاسمية: يهود البلاد العربية ز

شكري: الأوضاع القبلية ص166.

(4) كوبيشانوف: الشمال الشرقي الإفريقي ص26

وجد اليهود في مواضع أخرى من جزيرة العرب، وجدوا في العربية الشرقية، وفي نجد، وفي مواضع من العربية الجنوبية، فلما ارتد بنو وليعة، والأشعث بن قيس بن معد يكرب بن معاوية الكندي، وتحصن الأشعث في النجير، وهو حصن لهم كانت فيه امرأة من اليهود عرفت بشماتها بوفاة الرسول (ص) اسمها هند بنت يامين اليهودية<sup>(١٤)</sup>.

مما يدل على وجود اليهود في هذا المكان، كان بالبحرين قوم من اليهود، صالحوا المسلمين مثل النصاري على دفع الجزية عن رؤوسهم<sup>(١٥)</sup>.

وقد كتب المنذر بن ساوى العبدى يخبر الرسول أن بأرضه يهود ومجوس، فكتب إليه الرسول (ص) من أقام على يهودية، أو مجوسية فعليه الجزية<sup>(١٦)</sup>.

مما تقدم، يمكن القول إن اليهود انتشروا في الكثير من مناطق الجزيرة العربية، إلا أنهم كانوا أكثر انتشاراً في المنطقة الغربية من البلاد بحكم الاتصال التجاري مع فلسطين ووجود المناطق الخصبة.

### (3) النصرانية أو المسيحية<sup>(١٧)</sup>

لم تكن اليهودية الديانة السماوية الوحيدة التي وجدت لها سبيلاً إلى جزيرة العرب،

(1) البلاذري: فتوح البلدان ص 110 - 111

جواد: المفصل ج 6 ص 54

(2) البلاذري: فتوح البلدان ص 89 - 91

(3) البلاذري: فتوح البلدان ص 89.

ياقوت: معجم البلدان، مادة بحرين

جواد: المفصل 6/542

دلو: جزيرة العرب ج 2 ص 220

(4) النصرانية لفظ يطلق في العربية على اتباع المسيح وهي من الألفاظ المعربة يرى بعض المستشرقين أنها

من أصل سرياني هو نصرويو ونصريا.

جواد: المفصل ج 6 ص 582

ونهب بعضهم إلى أنها نسبة إلى الناصرة التي نسب إليها المسيح. لسان العرب مادة نصر، تاج العروس مادة نصر.

أما المسيحية فقد ظهرت هذه التسمية بعد تنصر الأمم الوثنية، ودعي التلاميذ بها في أنطاكية أولاً،

وجاءت هذه التسمية برهاناً على شجاعة الجماعة المؤمنة في أنطاكية معلنة أن الكنيسة لم تعد مجرد

شعبة يهودية.

سكا: السريان إيمان وحضارة ج 1 ص 4.

بل وجدت ديانة سماوية أخرى طريقاً لها إلى العرب هي الديانة النصرانية وهي ديانة أحدث عهداً من الديانة الأولى، لأنها قامت بعدها، ونشأت على أسسها ومبادئها، ولكنها كانت أوسع أفقاً وتفكيراً من الأولى.

#### آ- انتشار المسيحية

وإذا كانت اليهودية قد دخلت الجزيرة العربية بالهجرة والتجارة، فإن دخول النصرانية إليها كان بعدة طرق منها التبشير، وبدخول النساك والرهبان إليها للعيش فيها بعيدين عن ملذات الدنيا، وبالتجارة بالرقيق، ولا سيما الرقيق الأبيض المستورد من أقطار كانت ذات ثقافة وحضارة.

والجدير بالذكر أنه لم تحدث هجرة نصرانية كهجرة اليهود إلى الحجاز أو اليمن أو البحرين والسبب في ذلك أن النصرانية انتشرت في الإمبراطورية الرومية والساسانية بالتدريج، ثم صارت ديانة رسمية للقيصرية والروم والشعوب التي خضعت لهم.

وبفضل ما كان لكثير من المبشرين من علم، ومن وقوف على الطلب والمنطق ووسائل الإقناع ووسائل التأثير في النفوس، تمكنوا من اكتساب بعض سادات القبائل، فأدخلوهم في دينهم، وحصلوا منه على مساعدتهم، وحمايتهم، فتسبب دخول بعض سادات القبائل ممن تنصروا إلى مداواة الرهبان لهم، ومعالجتهم حتى تمكنوا من شفائهم، مما كانوا يشكون منهم من أمراض، كما حدث لضجعم سيد الضجاعة، إذ توسل أحد الرهبان إلى الله أن يهب له ولداً ذكراً، فاستجاب له، فلما رأى ضجعم ذلك دخل في دينه، وتعهد هو وأفراد قبيلته<sup>(١)</sup>.

وذكروا أن سبب نصرانية النعمان ملك الحيرة شفاؤه على يد راهب من مرض عصبي ألم به<sup>(٢)</sup>.

---

(1) شيخو: النصرانية وآدابها 35/1

جواد: المفصل 592.587/6

وينظر ابن خلدون: العبر 278/2.

ضجعم بن سعيد بن سليح واسمه عمرو بن حلوان بن عمران بن الحاف. ملكوا بلاد الشام إلى أن جاءهم

غسان فسلبوهم ملكهم ابن خلدون: العبر 278/2

(2) شيخو: الديورة في مملكتي الفرس والعرب 32 - 47.

وينظر جواد: المفصل 588/6.

الحو في الحياة العربية 144.

على أن أناساً من العرب، دخلوا بالنصرانية باتصالهم بالتجار النصارى، وبمجالستهم لهم، وإن دخول النصرانية إلى جزيرة العرب، كان مع بضاعة مستوردة من الخارج هي تجارة الرقيق من الجنسين.

أضف إلى ذلك أن الأديرة أثرت تأثيراً مهماً في تعريف التجار العرب، والأعراب بالنصرانية، لأنها كانت مواطن تبشير ونشر دعوة، حيث تشير جغرافية توزع الأديرة على انتشارها حتى في المواضع القصية من البوادي، فنجد لها ذكراً في الحجاز، ونجد وجنوبي جزيرة العرب، وشرقيها، تتلقى الإعانات من كنائس العراق والشام، ومن الروم، حتى تمكنت من التبشير بين أكثر القبائل.

- من ذلك يستطاع القول: إن طرق تنصير البلاد كانت:

- 1 - البعوث الرسمية التي أرسلتها حكومة نصرانية (بيزنطية) والتي قصد بها الحكام المحليون.
- 2 - إدخال التجار المحليين في العقيدة، وهم ممن كانوا يقدمون بتوافلهم إلى الأقطار النصرانية (أو الذين أخذوا إليها طريق البحر).
- 3 - نشاط نصارى الأجانب بما في ذلك أولئك الذين وقعوا في أسر الأغنياء والأعيان بحمير ونجران.
- 4 - إدخال أرباب الأسر الكبيرة ممن اعتنقوا النصرانية أهل بيوتهم وأقاربهم في العقيدة الجديدة، كما شغل الشعراء أيضاً دوراً خاصاً في نشر النصرانية ببلاد العرب فيما بعد (ع).

#### ب- النصرانية ببلاد الشام

لعل انتشار النصرانية بين العرب ببلاد الشام كان واضحاً ظاهراً أكثر منه في أي مكان آخر وهو شيء طبيعي فقد كانت بلاد الشام تحت حكم البيزنطيين، وديانتهم الرسمية هي الديانة النصرانية، وكانوا يعملون على نشرها، وترويجها بين شعوب

---

الجارم: أديان العرب 204

سعد: تاريخ العرب قبل الإسلام 227 - 36

سوسة: العرب واليهود في التاريخ 214.

ساكا: السريان إيمان وحضارة 177/1 - 178.

(1) كوبيشانوف: الشمال الشرق الأفريقي ص 25

إمبراطوريتهم، وبين الشعوب الأخرى، لاسيما الشعوب التي لهم مصالح اقتصادية معها، ففي نشر النصرانية بينهم، وإدخالهم فيها تقريب لتلك الشعوب منهم، وتوسيع لنفوذهم السياسي بينهم وتقوية لمعسكرهم المناهض لخصومهم الفرس، أقوى دولة معادية لهم في ذلك الوقت، أضف إلى ذلك محاولة الروم لتصير الشعوب الخاضعة لها لا تقرباً إلى الله وحده، بل لتمكين سلطانهم عليها، وإخضاعها روحياً لهم، لذا كان من سياسة البيزنطيين نشر النصرانية، وإرسال المبشرين، والإغداق عليهم ومدّهم بالأموال لنشر الدعوة، وتأسيس مكاتب للتبشير.

فدخل سادات القبائل والحكام العرب، والتابعون لهم في هذه الديانة، فصاروا نصارى، ولكنهم لم يأخذوا نصرانية الروم، بل أخذوا نصرانية شرقية، مخالفة لكنسية القسطنطينية فاعتقوها مذهباً لهم<sup>(٤)</sup>، لتتناسب والمعتقدات الشرقية، اتجاهات المنطقة المحيطة.

على أن النصرانية التي شاعت بين عرب بلاد الشام هي النصرانية اليعقوبية، وهو مذهب اعتنقه أمراء الغساسنة وتعصبوا له، ودافعوا عنه وجادلوا رجال الدين في القسطنطينية، وفي بلاد الشام في الذب عنه، كالذي نسب إلى الحارث بن جبلة، وإلى المنذر بن الحارث، ودفاعه عن المونوفيزية مذهب الغساسنة<sup>(٥)</sup>. وقد "وجه جستيان وفداً إلى المنذر ملك العرب ليصالحه لأنه كان غزا الروم، وخرب وسبا، وكان سبب الفتنة بين العرب والروم وهو اضطهاد جستيان الآباء القائلين بالطبيعة الواحدة، لأن النصارى العرب يومئذ، إنما كانوا يعتقدون اعتقاد اليعقوبية لا غير"<sup>(٦)</sup>.

وقد قبلت بيزنطة وضع مسيحية الغساسنة على مضض، تمشياً مع سياسة قبول الأمر

---

(١) الدبس (الياس) تاريخ سورية - بيروت 1899 ج2 ص526 - 527 - 528 يختصر إلى الدبس: تاريخ سورية.

(٢) شيوخ: النصرانية وآدابها 38.35/1.

وينظر نولدكة: أمراء غسان ص21.

BURY: HISTORY OF THE later roman vi.1.2.p.391.

ساكا: السريان إيمان وحضارة 189/1

المشرق: السنة الرابعة والثلاثون ك - آذار 1936 ص61 وما بعد

جواد: المفضل 131/6 - 592.

علي حسن: التاريخ الإسلامي العام ص91

(٣) ابن العبري: تاريخ مختصر الدول ص148

الواقع طالما ظل انتفاعهم مستمراً، بولاء الفساسنة في مجال التصدي لأي تحرشات من جانب الإمبراطورية الساسانية، أو من جانب أمراء الحيرة الداخلة في نفوذها.

ولكن حين بدأ حماس الفساسنة لتدعيم مذهبهم الديني المسيحي يظهر بشكل متواتر وملحوظ بدأت الشكوك تساور البيزنطيين، فنجدهم يأمرّون بالقبض على المنذر بن الحارث في أثناء افتتاحه لكنيسة حوارين<sup>(١)</sup>، وذلك رغم ما قام به هذا الأمير الفساني من تصد للامراء اللخمين، وصل إلى حد إحراقه للحيرة عاصمتهم قبل ذلك بقليل، في السنة ذاتها، وقد اقتيد المنذر إلى القسطنطينية، ثم سجن في صقلية<sup>(٢)</sup>.

### ج- النصرانية في العراق

انتشرت النصرانية في العراق، بالرغم من أن ديانة الحاكمين، كانت ديانة أخرى، إذ أن النصرانية لم تكن في مصلحة الفرس، ولم يكن الفرس يبشرون بها، فالفرس يدينون بديانة أخرى هي المجوسية<sup>(٣)</sup>.

ولم يكن يهمهم دخول الناس فيها، وهذا مما صرف الحكومة عن الاهتمام بأمر أديان الخاضعين لها من غير أبناء جنسها، إلا إذا وجدتّها تتعارض مع سياستها، وتدعو إلى الابتعاد عنها، ثم إن النصرانية التي انتشرت فيها لم تكن من النصرانية المتشعبة للروم، ولهذا لم تجد الدولة الساسانية من هذه الناحية وما يهدد سياستها بالأخطار، فغضت النظر عنها بعد أن قاومتها مراراً، واضطهّدتّها، وقتك ملوكها بعدد من الداخلين فيها، أشير إليهم في كتب مؤرخي الكنيسة في تواريخهم عن الشهداء القديسين<sup>(٤)</sup>.

---

(1) حوارين: بلدة هي من تدمر على مرحلتين

ياقوت: معجم البلدان: مادة حوارين.

(2) نولدكة: أمراء غسان ص 30-31.

جواد: الفصل 416/3.

برو: تاريخ العرب القديم ص 45

سعد: تاريخ العرب قبل الإسلام 210 - 211.

سرور: قيام الدولة العربية 35.

علي حسن: التاريخ الإسلامي العام 92

(3) ينظر في فقرة أخرى من هذا الفصل.

(4) الشهداء الحميريون 86.

ساكا: السريان إيمان وحضارة 35/1

والملاحظ أن نصرانية بلاد الشام انتشرت بين الملوك لأنها كانت ديانة الحكومة الرسمية، أما في العراق فانتشرت النصرانية بين سواد الشعب لأنه لم يكن يهم ملوك الحيرة موضوع انتشارها أو عدم انتشارها<sup>(١)</sup>.

ولعل عدم اعتناق ملوك الحيرة للمسيحية كان خشية من الإمبراطورية الفارسية وإثارتها ضدهم، حيث أن المسيحية هي العقيدة الرسمية للإمبراطورية البيزنطية، وهي العدو اللدود للفرس، والاستثناء الوحيد، هو اعتناق النعمان الثالث أبو قابوس للمسيحية، ولكنه حين اعتنقها كان مخالفاً لمذهب البيزنطيين، فقد كانت ديانتته نصرانية نسطورية، لتصبح أقرب المذاهب إلى القبول لدى حكام الإمبراطورية الفارسية.

### د- النصرانية في جزيرة العرب

دخلت النصرانية إلى جزيرة العرب، كالعربية الغربية والجنوبية، والشرقية وذلك بسبب اتصالها بطرق القوافل البرية والبحرية في البلاد التي انتشرت فيها النصرانية ومجيء التجار النصاري، والمبشرين مع القوافل إليها، فتجار النصاري لم يكونوا على شاكلة تجار اليهود فقد رأوا أن التجارة هي كسب مادي، ولكن التبشير مع التجارة ربح مضاعف، هو ربح في الدارين الدنيا والآخرة، فكانوا يغتيمون فرصة وجودهم في البلاد التي ينزلونها لنشر دينهم فيها. فكانت النصرانية في ربيعة وغسان وبعض قضاة<sup>(٢)</sup>. فأما من تنصر من أحياء العرب " فقوم من قريش من بني أسد بن عبد العزى، منهم عثمان بن الحويرث بن أسد بن عبد العزى، وورقة بن نوفل بن أسد، وبنو امرئ القيس بن زيد مناة،

---

جواد: المفصل 595/6

(1) الأعظمي: الدول الفارسية في العراق ص46

علي حسن: التاريخ الإسلامي ص8

(2) ابن قتيبة: المعارف 266.

ابن رسته: الأعلام النفيسة 217

ابن حزم: الجمهرة 491/2

شيخو: النصرانية وآدابها 27/1 وما بعد

جواد: المفصل 590/6

الجارم: أديان العرب ص204

ساكا: السريان إيمان وحضارة 175/1 وما بعد

ومن ربيعة بنو تغلب، ومن اليمن طئ، ومذحج، وبهراء، وسليح، وتتوخ وغسان ولخم<sup>(٤٤)</sup> ".  
 فطليء من القبائل التي وجدت النصرانية سبيلاً إليها فقد كان عدي بن حاتم الطائي  
 في جملة الداخلين في النصرانية من طيء<sup>(٤٥)</sup> .

والجدير بالذكر أن النصرانية لم تكن قوية في المدينة بدليل أن أهل الأخبار، لم  
 يذكروا شيئاً يستحق الذكر عن النصرانية في يثرب، غير أن هذا لا يعني عدم وجود  
 النصراني في هذا الموضع الزراعي المهم، ففي قصيدة لحسان بن ثابت رثى بها النبي، دليل  
 على وجود نفر من النصراني يقول<sup>(٤٦)</sup>:

فرحت نصاري يثرب ويهودها لما توارى في الضريح المجلد

وكان بين سكان مكة، جماعة من النصاري، هم من الغرباء النازحين إليها  
 لأسباب منها الرق، والاتجار، والتبشير، والحرفة، فقد أشير إلى عامل رومي استخدم في  
 بناء الكعبة عندما أرادت قريش تجديد<sup>(٤٧)</sup>ها وكان في مكة أيضاً عند ظهور الإسلام  
 جالية كبيرة كثيرة العدد من الأحابيش، وبين هؤلاء عدد كبير من النصاري، استوردوا  
 للخدمة وللقيام بالأعمال اللازمة لسراة مكة.

أضف إلى ذلك أن الدليل على أثر وجود النصرانية في مكة صورة المسيح ومريم التي

(1) تاريخ اليعقوبي 257/1.

وينظر ابن حزم: الجمهرة 491/2

شيخو: النصرانية وآدابها 811/1 وما بعد

جواد: المفصل 590/6 - 606 - 607

ساكا: السريان إيمان وحضارة 175/1 وما بعد

(2) البلاذري: أسد الغابة 392/3.

شيخو: النصرانية وآدابها 109/1

دلو: جزيرة العرب 224/2

(3) ديوان حسان ص 58، ابن رسته: الأعلام النفيسة 63، جرجس: أديان ص 80

جواد: المفصل 602/6.

عوض الله مكة 92.

سعد: تاريخ العرب قبل الإسلام ص 269

ضيف: العصر الجاهلي ص 100 .

(4) الأزرق: أخبار مكة 157/1

كانت مرسومة على جدران الكعبة و" مقبرة النصارى دبر المقلع على طريق بئر عنبسة  
بذي طوى<sup>(١)</sup> دليل آخر على أثر وجود النصرانية في مكة.

وكان في الطائف نفر من الموالي على دين النصرانية، من هؤلاء عداس<sup>(٢)</sup>.

ولعل أهل دومة الجندل، كانوا خليطاً فيهم نصارى لعباد الكوفة<sup>(٣)</sup>، " أما آيلة  
فكان صاحبها نصرانياً، كما يدل اسمه عليه يحنة بن رؤبة، صالحه النبي (ص) على  
الجزية، وبقي في محله<sup>(٤)</sup>.

### هـ النصرانية في اليمن والعربية الشرقية

أما الحديث عن النصرانية في اليمن فهو حديث مبهم أوله، فليس لدينا دليل واضح  
يشير إلى مبدأ دخول النصرانية إلى العربية الجنوبية، غير أن الذي نشرها في اليمن بزعم  
الموارد الإسلامية، رجل صالح من بقايا أهل دين عيسى اسمه فيمون.

وكان رجلاً صالحاً مجتهداً زاهداً في الدنيا، مجاب الدعوة، وكان سائحاً ينزل بين  
القرى في بلاد الشام، إلى أن حظ به التجوال في اليمن، وقد جعلته الأسطورة صالحاً ورعاً  
يقوم بالمعجزات ولأجل ذلك آمن بدينه أهل نجران، فمن هنالك كانت النصرانية  
بنجران<sup>(٥)</sup>، حيث عين فيمون أحد النجرانيين واسمه عبد الله بن الثامر رئيساً عليهم<sup>(٦)</sup>.

---

(١) الأزرقى: أخبار مكة 2/298

شيخو: النصرانية وآدابها 1/118

(٢) ابن هشام: السيرة 2/62

البلاذري: أسد الغابة 3/38

(٣) البلاذري: فتوح البلدان 74، ياقوت معجم البلدان مادة دومة

جواد: المفصل 6/600، دلو: جزيرة العرب 2/224

(٤) ابن هشام: السيرة 4/169، البلاذري: فتوح البلدان 71

المسعودي: التنبيه والأشراف ص272، جواد: المفصل 6/601

دلو: جزيرة العرب 2/224

(٥) وهب بن منبه: التيجان ص301، ابن هشام السيرة 1/32 وما بعد

الطبري: تاريخ الرسل والملوك 2/119 وما بعد

السهيلي: الروض الأنف 1/45، ابن الأثير: الكامل في التاريخ 1/426 وما بعد.

المقدسي: البدء والتاريخ 3/182 وما بعد.

ابن كثير: البداية والنهاية 2/206-207.

ابن خلدون: العبر 2/59.

تدل هذه الرواية على قدوم المسيحية من الشمال من بلاد الشام التابعة للبيزنطيين، وتقل فيموم من مكان إلى مكان دليل على التبشير بالمسيحية وانتقالها إلى اليمن بواسطة المبشرين، وفي ذلك دليل على رغبة البيزنطيين بوضع يدهم على الجزء الغربي من الجزيرة، والتحكم في طرق التجارة العالمية، وأن المسيحية كانت إذ ذاك على درجة من القوة، وفي أخبار مكة أن أهل نجران كانوا أشلاء سباً و"كانوا على دين النصرانية على أصل حكم الإنجيل، وبقياء من دين الحواريين، ولهم رأس يقال له: عبد الله بن ثامر<sup>(١٠)</sup>" حيث أخذ يبشر بالنصرانية، ويأتي بالمعجزات إذ يشفي المرضى.

وزعم بعض الإخباريين أن الذي أدخل النصرانية ونشرها في الحميريين، هو التابع عبد كلال بن مثوب، أخذ التابع نصرانيته بزعم من رجل من غسان ذكروا أنه كان قد قدم عليه من الشام، فلما علمت حمير بتتصرع التابع، وبتغيير دينه، وإعراضه عن عبادتها، وثبت بالغساني فقتلته<sup>(١١)</sup>. وقد أشير إلى تنصره في القصيدة الحميرية<sup>(١٢)</sup>.

فناقل النصرانية إلى نجران إذاً رجل غريب جاء إلى البلد من ديار الشام، ويرجع أوليري هذه الرواية إلى أصل يرى جذوره في السريانية، واسم هذا الرجل الصالح غير عربي بالطبع فعله كما سلف القول من المبشرين الذين كانوا يطوفون بين الديار للتبشير<sup>(١٣)</sup>.

ولقد جعل كتاب استشهاد الحارث اسم هذا الشخص سمعان الرسول<sup>(١٤)</sup>.

جواد: المفضل 608/6، حتى تاريخ العرب المطول 81/1

عابدين: بين الحبشة والعرب ص48

(1) الإكليل 134/8-135. ابن الأثير: الكامل في التاريخ 326/1

جواد: المفضل 609/6

(2) الأزرق: أخبار مكة 134/1

وينظر السهيلي: الروض الأنف 47/1

جواد: المفضل 609/6

(3) الطبري: تاريخ الرسل والملوك 89/2. شيخو: النصرانية وآدابها 55/1 وما بعد

جواد: المفضل 610/6 بيوتروفسكي: اليمن قبل الإسلام 243

(4) شيخو: النصرانية وآدابها 55/1

جواد: المفضل 610/6

(5) o leary, p.143

(6) استشهاد الحارث ص342 ملحق بكتاب كوبيشانوف الشمال الشرق الأفريقي.

ولا يستبعد أن يكون المبشرون قد أدخلوا النصرانية إلى اليمن عن طريق الحجاز، فقد كانوا يطوفون بين العرب لنشر هذا الدين. وليس بمستبعد أيضاً أن يكون قد دخل عن طريق الساح أيضاً مع السفن فقد كان المبشرون ينتقلون مع البحارة والتجار لنشر النصرانية وقد تمكنوا بمعونة الحكومة البيزنطية من تأسيس جملة كنائس على سواحل جزيرة العرب وفي سقطرى والهند<sup>(١)</sup>.

تحدث بعض كتبة التواريخ الكنسية من اليونان أن القيصر قسطنطين الثاني أرسل في عام 354 - 356 م ثيوفيلوس أندس من جزيرة سرنديب أي سيلان إلى العربية الجنوبية للتبشير بالنصرانية بين الناس، وفي ذلك دليل على وصول نفوذ البيزنطيين إلى أقصى المشرق، ومن هناك بدؤوا ببث النصرانية، ليظلوا على سيطرة على التجارة العالمية، على كل حال تمكن ثيوفيلوس من إنشاء كنيسة في عدن، وأخرى في ظفار، وثالثة في هرمز، وعين للمتصرين رئيساً ثم رحل<sup>(٢)</sup>. وصارت ظفار في سنة 356 م مقراً لرئيس أساقفة يشرف على شؤون نصارى نجران، وهرمز، وسقطرى<sup>(٣)</sup>.

إذاً تمكن المبشرون بمساعدة الأباطرة من إنشاء ثلاث كنائس، كما كان قادة الكنيسة يهتمون بنشر المسيحية في أقطار المشرق العربي وخارجه لزيادة نفوذ الكنيسة وتنمية مواردها مما يتدفق على خزائنها من هبات المؤمنين الجدد وتبرعاتهم.

وجاء في رواية أخرى أن القيصر قسطنطين الثاني أرسل ثيوفيلوس إلى ملك حمير، ونجاشي الحبشة، وذلك في 356 م برسائل كتبها القيصر إلى الملكين، فلما أنهى مهمته لدى ملك حمير، انتهز هذه الفرصة، فزار وطنه الهند، ثم عاد فذهب إلى الحبشة، وعاد

(1) جواد: المفصل 612/6

جواد: تاريخ 176/3

يحيى: العرب في العصور القديمة ص 391

جميل: محاضرات ص 236

(2) شيخو: النصرانية وآدابها 65/1

مقالات افرام الأول برصوم ص 44

كوبيشانوف: الشمال الشرقي ص 28

دلو: جزيرة العرب 222/2

(3) جواد: المفصل 612/6

سالم: تاريخ العرب ص 48

منها فذهب إلى إنطاكية، ومنها إلى القسطنطينية<sup>(٤٤)</sup> ويظهر من هذه الرواية أن مهمته هذه لم تكن مهمة دينية، إنما كانت ذات طابع سياسي، الغاية منها ضم حمير، والأحباش إلى معسكر البيزنطيين، خاصة، وأنه في تلك الفترة اشتد الصراع البيزنطي الفارسي للسيطرة على منطقة الشرق الأوسط وتخومه، لما في ذلك من فوائد سياسية ومصالح اقتصادية، فمن جهة يعقد معاهدة تجارية مع الحميريين يحقق بها التجارة البحرية، ومن جهة أخرى يحرض اليمانيين على الفرس ويدخلهم في معسكره حيث الدين يجمع عندئذ بينهم وبين الروم<sup>(٤٥)</sup>.

هذه رواية من روايات أخرى نشرها شيخو في كتابه النصرانية، تحكي قصة انتشار المسيحية في نجران، ومن نشرها<sup>(٤٦)</sup>. وتجمع غالبية الروايات على أن النصرانية كانت قد وجدت لها سبيلاً إلى اليمن في القرن الرابع للميلاد، وأنها لم تدخل العربية الجنوبية من طريق واحد، إنما دخلتها من البر، ومن البحر، ودخلتها من البر من ديار الشام إلى الحجاز، فاليمن، ومن العراق أيضاً مع القوافل التجارية المستمرة التي كانت بين اليمن والعراق<sup>(٤٧)</sup>. ودخلتها من البحر بواسطة السفن اليونانية، ودخلتها من الحبشة كذلك، فقد كانت على اتصال دائم باليمن وبقية العربية الجنوبية منذ ما قبل الميلاد، وأن نجران كانت أهم موطن للنصرانية في اليمن، ولعلها الموطن الوحيد الذي رسخت هذه الديانة فيه في هذه البلاد، والمركز الرئيس للنصرانية في اليمن منذ ظهور الإسلام، لها نظام

(1) bury ; history of the later roman empire,vo1.2.p.322

وينظر: جواد: المفضل 6/613.

حوي: الحياة العربية ص145

(2) شيخو: النصرانية وآدابها 1/59

مقالات افرام الأول برصوم ص44

جواد: تاريخ العرب 3/176

(3) شيخو: النصرانية وآدابها 1/57 وما بعد

(4) ابن كثير: البداية والنهاية 2/209

شيخو: النصرانية وآدابها 1/678 وما بعد

جواد: المفضل 6/621

جواد: تاريخ العرب 3/17

سياسي، إداري خاص تخضع له، وعليها العاقب والسيد<sup>(٤٤)</sup> والأسقف<sup>(٤٥)</sup>.

وقد كان عبد المسيح رجلاً من كنده عاقب نجران في أيام النبي (ص)، وكان معه الأيهم، وهو سيد نجران يومئذ، وأبو حارثة بن علقمة أحد بني بكر بن وائل، وكان أسقنهم وحبرهم، وإمامهم يومئذ، وله مقام عظيم عندهم، وقد شرف فيهم ودرس كتبهم حتى حسن علمه بدينهم، فكانت ملوك الروم من أهل النصرانية قد شرفوه ومولوه وأخدموه، وبنوا له الكنائس، وبسطوا عليه الكرامات، لما يبلغهم عنه من علمه واجتهاده في دينه<sup>(٤٦)</sup>.

فإن دل هذا على شيء، فإنه يدل على أن الرئاسة عند النصارى العرب لم تكن تتبع العرف القبلي في الزعامة، وإنما كانت عن تنصيب واختيار، وأنه لا يستبعد وجود مجامع كنسية تنظر في المسائل العامة للوُثاقف.

وقد ارتبط نشر المسيحية في العربية الجنوبية بالأهداف السياسية والاقتصادية لأباطرة بيزنطة، وملوك أكسوم الرامية إلى السيطرة على هذه المنطقة الاستراتيجية، والطرق البحرية الموصلة إلى الهند، وقد اتبعوا وسائل مختلفة لتحقيق أطماعهم في الجزيرة العربية.

كان من جملة التقرب من ملوك أكسوم، لضمان مصالحهم وللضغط على حكام السواحل العربية المقابلة لسواحل لبلادهم لجلبهم إلى جانبهم ولمنعهم من التحرش بسفنهم وبتجارهم الذين كانوا يرتادون البحار إلى الهند، والسواحل الأفريقية وقيمون في مواضع من السواحل والجزر على شكل جاليات كما هي الحال في سقطرى<sup>(٤٧)</sup>.

وأما اليمامة فكانت النصرانية قد وجدت لها سبيلاً بين قراها وقبائلها فقد كان هوذة بن علي نصرانياً على قوم من تميم<sup>(٤٨)</sup>.

(١) العاقب والسيد من رؤساء وأصحاب مراتب نصارى نجران، لسان العرب مادة عقب.

(٢) الأسقف: رئيس النصارى في الدين، لسان العرب مادة سقف

(٣) ابن هشام: السيرة 224/3 وما بعد

لسان العرب مادة عقب.

تاج العروس مادة عقب، جواد: المفصل 6/617.

ضيف: العصر الجاهلي 99

(٤) جواد: المفصل 6/627.

دلو: جزيرة العرب 2/227.

(٥) ابن خلدون: العبر 2/177.

ديوان الأعشى ص 5.

فالنصرانية التي انتشرت في جزيرة العرب، كانت نصرانية نسطورية<sup>(٤)</sup> ونصرانية مونيوية<sup>(٥)</sup>.

تسربت النسطورية إلى العربية الشرقية من العراق وإيران، فقد ذكر أن الجار ود بن عمرو بن حنش المعلى كان نصرانياً<sup>(٢٦)</sup>.

وقد سعى الفرس لنشر مذهب النساطرة بين أهل نجران كما سعوا إلى تقوية الصلات بين الحيرة ونجران، على الرغم من أنهم أنفسهم لم يكونوا على دين المسيح، ولعل مرد ذلك إلى الأهداف السياسية البعيدة التي كانوا يبتغونها من هذا التقارب، ومن نشر المذهب النسطوري في اليمن.

ومن الطبيعي أن يقع اختلاف بين المذهب النسطوري والمذهب اليعقوبي، مع العلم أن كلا المذهبين لم يكن مذهب أحد الإمبراطوريتين، حيث إن القسطنطينية حاربت هذا المذهب، وأعتبرته من المذاهب المنسقة الباطلة<sup>(٥٤)</sup>.

شيوخ: النصرانية، وآدابها 72/1.

جواد: المفصل 621/6.

دله: حذیة العرب 225/2.

(1) نسبة إلى نسطور الذي جعل للمسيح طبيعتين طبيعة الإنسان يسوع وطبيعة الله الكلمة وذكر أن مريم هي بشر ولدت بشراً وهو المسيح الذي هو إله من ناحية الأب الإله فقط.

(2) أبو الفدا: المختصر في أخبار البشر 1/90

کریستینسن: ایران في عهد الساسانيين 277

ساكا: السريان إيمان وحضارة 51/1

جواد: المفصل 627/6

27- فروخ: الحرب والاسلام 26-

دلو: جزيرة العرب 223/2

(3) تاج العروس مادة جرد، جواد: المفصل 622/6

(4) ينظر قبل صفحات من هذا الفصل.

ويجدر الملاحظة أنه كان للأباطرة الروم، ومن ثم للأباطرة البيزنطيين أطماع هيمنة، وتوسعية في أقطار المشرق العربي، وخارجه باتجاه إيران، وجنوب شرقي آسيا لاحتكار تجارة التوابل والحرير والذهب، والسيطرة على مسالكها، وطرقها البرية، والبحرية، والتحكم بتوزيعها على الأسواق العالمية، ولهذا وجدوا في نشر النصرانية وإرسال المبشرين، ومدهم بالمساعدة في إنشاء الأديرة، وتشديد الكنائس الفخمة، وسيلة لتحقيق أهدافهم الاستراتيجية والسياسية والاقتصادية.

إن القسطنطينية حاولت نشر المسيحية بين العرب، لغايات سياسية اقتصادية، ولكن المذهب الذي انتشر مخالف لعقيدتها فهل كان ذلك ليتناسب مع اتجاهات المنطقة، وليتناسب مع المعتقدات الشرقية كما سبق ذكره قبل صفحات.

والجدير بالذكر أن الكنائس كانت بيوت تقوى وعبادة، وهي أيضاً بيوت سياسية، ودعوة وتوجيه، لذا اهتم الروم في الإكثار من المساعدات لبنائها، ونشر النصرانية، ومهما كان المذهب المسيحي فهو يفيد الروم، لأن النصراني، سيميل إلى إخوانه في العقيدة والدين، ففي انتشار النصرانية فائدة من هذه الناحية كبيرة للبيزنطيين.

#### 4) ديانان أخرى

وجدت في جزيرة العرب، ديانان متعددة إلى جانب اليهودية والنصرانية، ذكرها الله تعالى في القرآن الكريم بقوله: ((إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِّينَ وَالنَّصَارَى، وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ)) (نح).

فالمجوس<sup>(١)</sup>، والصابئة<sup>(٢)</sup>، ديانان وجدت في الجزيرة العربية، كيف لا وأهل مكة على اتصال وثيق بالحيرة وباليمن حيث يوجد الفرس الذي يدينون بالمجوسية، ثم إنه كان في حضرموت، وفي العربية الشرقية أناس منهم، أقاموا هناك، وقد كان وكلاء الأكاسرة على هذه الأماكن منهم، وهم على دين المجوسية. أشار الإخباريون إلى وجودهم في أخبار الفتوح وأسلم معهما جميع العرب، وبعض العجم، فأما أهل الأرض من

---

(1) سورة الحج: الآية 17.

(2) القائلين بالأصلين النور والظلمة. الخير والشر، فيزعمون أن الخير من فعل النور وأن الشر من فعل الظلمة، لسان العرب مادة مجس،

تاج العروس مادة مجس.

علي حسن: التاريخ الإسلامي ص 167.

جواد: المفصل 6/691

(3) هو من خرج من دين لدين. لسان العرب مادة صبا، تاج العروس مادة صبا  
جواد: المفصل 6/702، والصابئون قوم يشبه دينهم دين النصاري، إلا أن قبلتهم نحو مهب الجنوب، يزعمون أنهم على دين نوح، لسان العرب مادة صبا، علي حسن: التاريخ الإسلامي 166

المجوس واليهود، والنصارى، فإنهم صالحوا العلاء (لج) .

والظاهر أن هؤلاء كانوا مقيمين فيها من أمد طويل، بدليل ورود عبارة، فأما أهل  
البحرين من كذا.

وفي الأخبار ما يفيد بتمجس بعض العرب، فورد أن "المزكية والمجوسية في تميم" (ب)

"وورد أن زرارة بن عدس، وابنه حاجب بن زرارة، وهما من سادات تميم، كانا قد  
اعتنقا المجوسية، واعتنقها أيضاً الأقرع بن حابس، وأبو الأسود جد وكيع بن حسان" (ج).

وقيل أن أشتاتا من العرب عبدت النار، سرى إليها ذلك من الفرس والمجوس (د)،  
وهناك ما يشير إلى الزندقة في قريش أخذوها من الحيرة (هـ).

---

(1) البلاذري: فتوح البلدان ص 89-91 وينظر الطبري: تاريخ الرسل والملوك 29/3

السالمي: تحفة الأعيان 45.

جواد: المفصل 292/6.

شكري: الأوضاع القبلية ص 5

(2) ابن رسته: الأعلام النفيسة 217.

الجارم: أديان العرب ص 19

(3) ابن قتيبة: المعارف 266.

ابن رسته: الأعلام النفيسة 217

الجارم: أديان العرب 191.

عوض الله: مكة ص 8

(4) الألويسي: بلوغ الأرب 2/233

(5) ابن حبيب: المحبر 161.

ابن قتيبة: المعارف 266

ابن رسته: الأعلام النفيسة 207.

كستر: الحيرة ومكة 10-11

الأفغاني: أسواق 115

جواد: تاريخ العرب 5/250-363.

سالم: تاريخ العرب في عصر الجاهلية 480

علي حسن: التاريخ الإسلامي 168

كحالة: العالم الإسلامي 1/83

طلس: تاريخ العرب 1/77 عوض الله: مكة 88

خشاب: التقاء الحضارتين ص 96

والجدير بالذكر أن مجوس اليمن كانوا من الفرس الذين أرسلهم كسرى لطرد الحبش من اليمن، فهم وأبنائهم كانوا على هذا الدين دين الإمبراطورية الفارسية، وكان مجوس عمان<sup>(١)</sup> وبقية أنحاء العربية الجنوبية من الفرس أيضاً، ومن تجار مقيمين من بقية الفرس الذين كانوا قد استولوا على هذه الأرضين، ولعل مجوس البحرين<sup>(٢)</sup>، كانوا أكثر عدداً، وأكبر نفوذاً من إخوانهم في عمان، لقرب هذه الأرضين من إمبراطورية الساسانيين.

ذكر أن الرسول (ص) كتب إلى مجوس هجر يعرض عليهم الإسلام، فإن أبوا، أخذت منهم الجزية، وبأن لا تتكح نساءهم، ولا تؤكل ذبائحهم<sup>(٣)</sup>.

وكان باليمامة، قوم من المجوس، عاشوا في قراها ومواضعها، اشتغلوا بالزراعة والتعدين.

هذا ولم يسمع بدخول أحد من ملوك الحيرة، أو الأمراء الذين عينتهم الفرس على العرب في المجوسية مع علاقتهم بالفرس واتصالهم الوثيق بهم، ووجود الفرس في أرضهم، وفي عاصمتهم، بينما نجد بعضاً منهم وقد دخل في النصرانية، ولعل ذلك بسبب ميل الفرس إلى عدم إدخال أحد من الغرياء عنهم في دينهم، وإلى عدهم المجوسية ديانة قومية خاصة بهم فلا يهملهم دخول أحد من غيرهم فيها.

إذاً إن صنفاً من العرب عبد النار<sup>(٤)</sup> وهم أشتات من العرب، وكان ذلك سرى إليهم من الفرس، المجوس<sup>(٥)</sup>.

أما الصابئة، فيفهم من القرآن الكريم أنهم جماعة كانت على دين خاص، وأنهم طائفة مثل اليهود والنصارى، فلا يستبعد أن يكون من بين سكان مكة أناس كانوا من الصابئة، جاؤوا إليها تجاراً من العراق أو جاء بهم الحظ إليها، حيث أوقعهم في سوق النخاسة، فاشتراهم تجار مكة، وجاؤوا بهم إلى مدينتهم، وعرفوا منهم أنهم صابئة.

وقد دعت قریش النبی (ص) صابئاً لأنه خرج من دينها إلى دين آخر. كما تصبأ

(١) البلاذري: فتوح البلدان ص 88

(٢) البلاذري: فتوح البلدان ص 89 - 91

ياقوت: معجم البلدان مادة بحرين.

(٣) البلاذري: فتوح البلدان ص 91

(٤) الأتوسي: بلوغ الأرب 2/233

النجوم أي تخرج من مطالعها<sup>(١٤)</sup>.

ولعل كلمة صابئ مأخوذة من الفعل (صبا) الأرامي ومعناه يرتمس، يغتسل،  
يتعمد<sup>(١٥)</sup> وهذا يأخذ معنى التطهر في الإسلام.

وهو مطابق لعقيدة الصابئة، المتبعة حتى اليوم في الاغتسال بالماء الجاري، وقد سموا  
بالصابئة لكثرة الاغتسال في شعائرهم، وملازمتهم شواطئ الأنهار من أجل ذلك<sup>(١٦)</sup>.

فهل دعي الرسول (ص) صابئاً لأجل التطهر قبل العبادة، والوضوء قبل الصلاة، وقبل  
الذهاب إلى المسجد؟

## 5) اليهودية والمسيحية والصراع الدولي

### أ- أسباب الصراع

سارت العلاقات الخارجية العربية في الفترة المدروسة هذه، بتداخل العامل الديني في  
نسيج العلاقات الخارجية، وهو أمر بدأ يظهر بوضوح خاص في القرن السادس الميلادي،  
في الصراع الثنائي بين الفرس، والبيزنطيين على السيطرة على القسم الجنوبي من شبه  
الجزيرة العربية وفي هذا الصراع تدخل الحبشة كقوة من الدرجة الثانية تساند سياسة  
الحكومة البيزنطية وتنفذها، وإن كانت الأمور لا تثبت دائماً على هذا الوضع، فتتخذ  
هذه الدولة مواقف تبدو فيها، وكأنها تعمل لحسابها.

كان لبيزنطة والحبشة أطماع في اليمن، فكيف يعملان على تحقيق ذلك؟

لا بد من وسيلة، فاتخذ كلاهما الدين وسيلة لكسب نصارى اليمن كحلفاء لها،  
فرد الحميريون على ذلك بأن أخذوا يعملون على نشر اليهودية في بلادهم<sup>(١٧)</sup>.

(1) لسان العرب مادة صبا

(2) الحسين (عبد الرزاق) الصابئون - مطبعة العرفان - صيدا بيروت 1970 م ج 4 ص 21 يختصر إلى  
حصني: الصابئون.

وينظر أيضاً دراود (الليدي) الصابئة المتدانيون، ترجمة نعيم بدوي وغضبان رومي، مكتبة خياط، بيروت  
1964، ج 1 ص 98، يختصر إلى دراود، الصابئة المتدانيون

(3) عليان (رشدي) وغيره - الأديان دراسة تاريخية مقارنة - وزارة التعليم العالي - جامعة بغداد - ط 1 1976  
ص 143، يختصر إلى عليان: الأديان دراسة تاريخية مقارنة.

(4) حميري: ملوك حمير 47 - 84

ويبدو أن إعلان اليهودية ديانة رسمية للبلاد، كان معارضة للبيزنطيين أعداء اليهود الذين كانوا يدعمون سياسة الأحباش التوسعية تجاه اليمن، فلماذا أصبحت اليهودية، وليس النصرانية عقيدة شطر معين من أعيان حمير؟ أتخذ موقف العداء من بيزنطة وأكسوم، بمعنى أن الكثير من الحميريين اعتنقوا اليهودية، ولم يعتنقوا المسيحية فما هو السبب؟

إن المنافسة الحادة التي كانت بين الطوائف النصرانية أضعفها وحث من قدرها في أعين الصفوة المحلية، فأصبحت اليهودية في أعينهم، أكثر أصالة، هذا إلى جانب قربها من عدد كبير من العبادات التقليدية لقبائل العرب الجنوبية.

لكن في القرن السادس نجد النصارى بالجنوب العربي أكثر عدداً من اليهود، لعل مرد ذلك التزايد نتيجة لتدفق اللاجئين من إيران بعد الاضطهادات الكبرى لأتباع النصرانية بعد عام 502<sup>(٦٤)</sup>. وفيما بعد تمكن النصارى بحمير من وضع يدهم على السلطة العليا " ساعدت على هذا ظروف الأحوال السياسية بين الدولتين الكبيرتين، فقد قيد من يد إيران المشاكل الداخلية مثل ارتفاع شأن المزدكية<sup>(٦٥)</sup> من جديد. وأما في الجزيرة العربية، فقد تجدد النزاع بين دولتي كندة واللمخمين، وفي حمير حدث أن تغيرت الأسرة الحاكمة، والاتجاه السياسي في وقت واحد، إذ رفع الأكسوميون بهساندة النصارى المحليين، والقبائل النصرانية النازلة حول حمير إلى العرش معد يكرب يعفر الذي لم يكن أبوه ملكاً<sup>(٦٦)</sup>، لذا فقد عد مغتصباً وفقاً للتقاليد المتبعة في وراثة العرش. وتؤكد المصادر السريانية علاقة هذا الملك بالعرب النصارى من أهل نجران وأنهم

---

بليانيف: العرب والخلافة 23، لاندو: الإسلام العرب 22

سيدو: تاريخ العرب 48، فخري: اليمن ماضيها وحاضرها ص 71

كحالة: العالم الإسلامي 73/1

مروة النزعات المادية 307/1

عوض الله: مكة ص 89

(1) كوبيشانوف: الشمال الشرقي الأفريقي ص 30

(2) نسبة إلى مزدك الفيلسوف الفارسي النيسابوري الذي ظهر في أيام حكم قباد والد انوشروان حوالي 487م جاء مزدك بمنهج جديد غايته إصلاح التنظيمات السياسية والاجتماعية للفرس في زمانه فكان ينهى عن البغض والحسد والقتال، ولكنه تطرف في الإباحية في النساء والأموال. عليان وغيره: الأديان دراسة تاريخية مقارنة 38 - 39.

(3) كوبيشانوف: الشمال الشرقي الأفريقي ص 30

عاونوه مالياً، فقد أقرضته سيدة نصرانية من أعيان نجران تدعى رحيم (رومي) اثني عشر ألف دينار، ومن المرجح أنه على عهد حكم معد يكرب بالذات أرسل أنسطاس إمبراطور بيزنطة 491 - 519 م أسقفاً إلى الحميريين، كما وجد منذئذ بنجران أسقف مونوفيزي من أهل البلاد ويدعى بولس الأول<sup>(١)</sup>.

إذاً تنصر الحميريون على المذهب المونوفيزي المناسب لمذهب الأحباش، فاليمن كانت يومذاك تحت حماية الأحباش، ظهر ذلك واضحاً من رسالة أرسل بها ملك حمير اليهودي ذو نواس إلى المنذر الثالث ملك الحيرة، والذي يقول فيه "ولتعلم أن الملك الذي نصبه الكوشيون (الأكسوميون) ببلادنا قد مات، وجاء في وقت الشتاء فلم يعدم بمقدور الكوشيين العبور إلى بلادنا لتتصيب ملك نصراني، كما جرت العادة<sup>(٢)</sup>".

فمعد يكرب بوصفه نصرانياً، اضطر إلى التحالف مع بيزنطة وأكسوم، قابلاً دور الشريك الأصغر، وهذا الوضع دعم ارتباط هذه البلاد بكل من أكسوم، وبيزنطة، مما أثار ثائرة ملك اللخمين فاتخذ موقفاً معادياً منه بوصفه مغتصباً للعرش وعدواً لحلفائه من الفرس، واليهود. "وحملة اللخمين بالجنوب جاءت بطبيعة الحال في مصلحة المجموعة المناصرة لليهودية بحمير، غير أن نجاح جند معد يكرب واتفاقية الصلح التي عقدها مع المنذر، أعادت الحال إلى ما كانت عليه، وحرمت أكسوم من ذريعة التدخل في بلاد العرب<sup>(٣)</sup>".

ولكن عندما انتزع العرش يوسف بن ذي يزن من معد يكرب، جعل من اليهودية الديانة الرسمية لحمير، ووفقاً لأسس العقيدة اليهودية، فقد عد نفسه يهودياً، مما يعني قطع العلاقات السياسية مع الحبشة.

فهل حادث انتزاع العرش، والدعوة إلى اليهودية كانا السبب الجوهرى في توتر العلاقات بين يوسف ذي نواس والنصارى؟ أم ميل يوسف للساسانيين جعله يفعل ذلك؟ ولماذا كان الاضطهاد في نجران أشد من غيرها؟

"إنه لا حادث انتزاع العرش، ولا حادث الدعوة إلى اليهودية كانا بأي حال من الأحوال

(١) الشهداء الحميريون ص 99، ببغوليفسكي: العرب على حدود بيزنطة وإيران ص 98.

كوبيشانوف: الشمال الشرقي الأفريقي ص 3

(٢) الشهداء الحميريون ص 43 - 113

(٣) كوبيشانوف: الشمال الشرقي الأفريقي ص 33.

وينظر بيوتروفسكي: اليمن قبل الإسلام ص 75

هما السبب الجوهرى في توتر العلاقات بين يوسف والنصارى، سواء من رعاياه أو من الأجانب، غير أن العملية في حد ذاتها ساقطت إلى تغيير حاد في الاتجاه السياسى لمملكة حمير. حقاً إن اليهودية المضطهدة في بيزنطة والتي تمتعت بالتسامح في إيران ربطت الملك الجديد بالاتجاه الساساني، كضرب لاحتلال التوازن مع النفوذ البيزنطى، أما داخل بلاده فقد كانت سياسة يوسف موجهة ضد فئة من أعيان الجنوب العربى جمعت ثروة لا يستهان بها من المتاجرة مع أثيوبيا وبيزنطة، واعتنقت النصرانية<sup>(١)</sup>.

"ونظراً لأن قاعدة هذه الفئة من الأعيان، كانت مناطق الأطراف التي تقطنها جماعات غير حميرية، فقد بدا هذا في أعين القبائل العربية وكأنه نزاع عنصري بين الحميريين واليهود من ناحية، وعرب نجران، وسكان تهامة سمر الألوان، وأهل حضرموت من ناحية أخرى، أما في أعين الأكسوميين والسريان فقد كان يعنى مجرد اعتداء من طرف الحميريين على النصارى العرب<sup>(٢)</sup>".

#### بـ مجريات الصراع

شهدت تلك الفترة ركود التجارة بسبب تعرض التجار من البيزنطيين الغساسنة والأثيوبيين للنهب والفتك بحياتهم في خضم الأحداث التي كان مسرحها آنذاك الجنوب العربى، فتحكى المصادر السريانية واليونانية عن مصارع التجار البيزنطيين ونهبهم على يد ملك حمير اليهودي<sup>(٣)</sup>، مما ألحق أذى بالمصالح التجارية لأكسوم وغيرها من الدول، وكان هذا في حد ذاته انعكاساً للعداء تجاه بيزنطة وأكسوم، والدول النصرانية العربية، وإلى جانب الخسائر السياسية تعرضت أكسوم أيضاً لخسائر اقتصادية فادحة، لأن ذا نواس عطل تجارة عدولي ومكوسها.

لكل هذا سارع نصارى الجنوب العربى بطلب العون من أكسوم، فسافر توما أسقف

(١) كوبيشانوف: الشمال الشرقى ص 34.

(٢) كوبيشانوف: الشمال الشرقى ص 34، وينظر برصوم (أغياطيوس، فرام الأول) اللؤلؤ المنشور - تقديم ونشر غريغوريوس يوحنا إبراهيم متروبوليت حلب ط 5، 1978 ص 256 يختصر إلى اللؤلؤ المنشور

(3) GRZETEZ; THE HISTIRY OF THE JEWS,VOL2,P,65,66. BRIAF ; THE HISTORY OF THE JEWS

وينظر: ولفنسون: اليهود في جزيرة العرب ص 47

عقيلي: اليهود ص 80

الحوي: الحياة العربية 15

نجران إلى أثيوبيا برجاء للأكسوميين من أجل تعضيد السكان، والتدخل ضد ذي نواس، واعداء إياهم دون شك بعمل ذلك، خاصة النصارى الذين كان يتحدث باسمهم وقد كرس كتاب الشهداء الحميريين فصلاً خاصاً لهذه السفارة<sup>(٤٤)</sup>.

ومال أثناء ذلك عدد من الجماعات المحايدة، وغير المستقرة من الوثنيين إلى جانب ذي نواس في حين أخفق الأكسوميون بسبب الرياح الموسمية الشتوية في إرسال الإمداد من الساحل الأفريقي إلى بلاد العرب<sup>(٤٥)</sup>. الأمر الذي يدل دلالة واضحة على أن المسيحيين الحميريين كانوا يومذاك تحت وصاية ملك الحبشة وهو ملك أقرب دولة مسيحية لهم، فمن إذاً أولى منه باتحادهم على أعدائهم اليهود ويبدو أن الوضع تحول لمصلحة يوسف ذي نواس فظهر بجميع قواته العسكرية أمام ظفار، ولكنه لم يكن في وضع يسمح له باقتحام ظفار عنوة أو أنه لم يجزئ على ذلك، فوجه إلى ظفار رسالة يعرض فيها على الأثيوبيين الأمان إذا ما غادروا المدينة " فوثق الأحباش بأمانه إلا أنه حث في ذلك، وفتك بهم ثم ظفار، وحرق كنيستها، والأحباش الباقين فيها<sup>(٤٦)</sup> ".

ثم أوفد رسلاً بصحبة كهنة اليهود إلى البلاد الخاضعة لسلطانه لقتل المسيحيين حيثما وجدوا، اللهم إلا إذا كفروا بالمسيح وتهودوا، وأمر بأن يحرق هو وبيته كل من يخفي مسيحياً، وأن يصادر ماله. ثم أرسل قواده الثلاثة على رأس جنودهم لمحاصرة نجران، فناوشهم النجرانيون القتال، وقتلوا منهم عدداً وافراً، ولما لم يقووا عليهم. جاء الملك بجيش عظيم، وحاربهم ولكنه لما بء بالفشل الذريع، بعث إلى النجرانيين رسالة اشتملت على أيمانه الغليظة.... بأنه لن ينالهم أذى إذا هم خرجوا من المدينة تلقائياً، وعقب ذلك فتح المدينة وحث الملك في أيمانه وبطش بهم وحرق كنيستهم<sup>(٤٧)</sup> ".

وقد نجا كل من قبل اعتناق اليهودية، على أن اضطرهاد النصارى وحرق البيع شمل

---

(1) الشهداء الحميريون ص 113، وينظر كامل (مراد) ومحمد حمدي، وزاكية محمد رشدي.

تاريخ الأدب السرياني - دار الثقافة للنشر والتوزيع القاهرة 1978 ص 189 يختصر إلى تاريخ الأدب السرياني. وينظر مقالات افرام الأول برصوم 50 - 5

(2) الشهداء الحميريون ص 113

(3) الشهداء الحميريون ص 101

(4) الشهداء الحميريون ص 101 - 102

حضر موت، ومأرب وهجرين<sup>(٤٤)</sup>.

والجدير بالذكر أن هذه الحادثة حسب ما ذكر الإخباريون وردت في القرآن الكريم<sup>(٤٥)</sup>.

لكن الملاحظ من سورة البروج أن ذا نواس دعا نصارى نجران للعودة إلى الوثنية، وليس إلى اليهودية، فالنصرانية واليهودية المعاصرتين لنزول القرآن الكريم كانتا ديانتين سماويتين لا مجال لتفضيل إحداهما على الأخرى فقد ذكر الطبري "كان أصحاب الأخدود قوماً مؤمنين وإن جباراً من عبدة الأوثان، أرسل إليهم فعرض عليهم الدخول في دينة أي دخول الوثنية فأبوا، فخذ أخذوداً<sup>(٤٦)</sup>، وأوقد فيه النار، ثم خيرهم بين الدخول في دينه وبين إلقائهم في النار فاخترأوا إلقاءهم في النار على الرجوع عن دينهم فألقوا في النار<sup>(٤٧)</sup>".

إذاً لم يذكر الطبري في تفسيره ذا نواس، ولا أهل نجران، والنيسابوري يذكر ثلاث روايات آخرها أنه ذو نواس<sup>(٤٨)</sup>.

ولقد عجب ياقوت من أن ينسب الأخدود إلى ذي نواس، لأن ذلك يفضي إلى أن يكون القاتل والمقتول من أهل التوحيد، والله قد ذم المحرق والقاتل لأصحاب الأخدود. وأما خبر الترمذي أن الملك كان كافراً، وأصحاب الأخدود مؤمنين فصح إذا<sup>(٤٩)</sup>.

ولعل الأجدر بالذكر، أن ذا نواس لم يكن يهودياً، بل كان وثياً، وبذلك يكون قد انتقم من المؤمنين بالله، وهو غير مؤمن "وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد<sup>(٥٠)</sup>".

وقد رأى في انتشار النصرانية، شبح النفوذ الأجنبي، بمعنى أنه ربط بين انتشار المسيحية في اليمن، وبين ازدياد النفوذ البيزنطي والحبشي في بلاده، فكان دولة حميرية

(١) الشهداء الحميريون ص 98 وينظر كوبيشانوف: الشمال الشرقي الأفريقي ص 48

(٢) سورة البروج الآية 4 - 9

(٣) لم نتعرف من خلال البحث على معرفة مكان الأخدود كل ما ذكر أنه عبارة عن حفرة مستطيلة.

لسان العرب مادة خدد

(٤) الطبري: جامع البيان: 134/3

وينظر الحوي: الحياة العربية ص 152

(٥) الطبري: جامع البيان 130/30 حاشية.

(٦) ياقوت: معجم البلدان مادة نجران

(٧) سورة البروج: آية 8

يهودية لصدد هجوم الدولة الحبشية. وسد السبيل في وجه مطامعهم، ويمنع انتشار النصرانية التي كان ملوك أكسوم يتوسلون بها إلى تنفيذ مطامعهم الاستعمارية، فقد غدت نجران أحد مراكز هذا النفوذ، وهي مدينة تجارية كبيرة في شمالي اليمن حيث كانت تقاطع الطرق التجارية الواصلة من الحجاز (من الشمال) ومن اليمامة (من الشرق)<sup>(١)</sup>.

اتخذ حكام الحبشة من مسألة اضطهاد نصارى نجران وتعذيبهم وقتل الآلاف منهم ذريعة للتدخل المسلح المباشر وشجعهم ملك الروم على غزو اليمن<sup>(٢)</sup>.

من الواضح أنه لما بدأ ذو نواس اضطهاده شرع في إرسال تحدياته إلى العالم النصراني لذلك العهد. أو على الأصح لشطريه الأرثوذكسي والمونوفيزي بمركزيهما في بيزنطة وأكسوم، أما فيما يتعلق بالقسم الشرقي والنسطوري للنصرانية، فقد كان في حال من العداء مع كل من الأرثوذكسية والمونوفيزية، بصورة حالت دون ضم الصف معهما من أجل القيام بعمل مشترك.

ولقد كان بوسع ملك حمير أن يجد التعاضيد من يهود الجزيرة العربية كما ذكر في فصل سالف لأجل توسيع أملاكه مستقبلاً تجاه حدود بيزنطة.

فبعث بسفارة على يثرب قوبلت بحماس من طرف القبائل اليهودية المحلية الثلاث، ولكن هذه السفارة لم تحقق أهدافها فمن العسير القول بأنه كانت لديهم آنذاك إمكانيات عسكرية تسمح بذلك.

لذا حاول ذو نواس أن يجد سنداً من الفرس، وعمالهم اللخمين وأن يحصل في الوقت ذاته على النفوذ، والمكانة بين القبائل العربية<sup>(٣)</sup>.

على أن ملك حمير وجد نفسه وحيداً، ولم يتلق العون، لا من الفرس، ولا من

---

(١) بيوتروفسكي: اليمن قبل الإسلام ص 76

(٢) الطبري: تاريخ الرسل والملوك ج 2 ص 124 - 125  
وينظر أيضاً: ابن الأثير: الكامل في التاريخ ج 1 ص 431  
ابن كثير: البداية والنهاية ج 2 ص 208.

وينظر في فصل سابق.

(٣) كامل وغيره: تاريخ الأدب السرياني 189 - 190

عابدين: بين الحبشة والعرب ص 43

جواد: المفصل ج 2 ص 59

للخمين، ولا حتى من الجاليات اليهودية بالإمبراطوريتين البيزنطية والساسانية.

فقد كان إمبراطور فارس قباد يهيئ نفسه آنذاك لمواجهة نهائية مع المزدكية<sup>(٤٤)</sup>، وليس بإمكانه الدخول في مغامرة عسكرية في الجنوب العربي النائي، أضف لذلك أن الأحداث سافت إلى تقلص في حجم التجارة الدولية في سواحل بلاد العرب الجنوبية والغربية، وعلى طرق القوافل المارة بالجزيرة العربية، ومما مس أيضاً مصالح إيران، ومن المحتمل أن يمس الاضطهاد النساطرة فيما بعد.

أما أثيوبيا فمن الملاحظ أنها لم تحرك ساكناً خلال هذه الأحداث لأسباب داخلية، وهي في أغلب الظن نشوب حرب أهلية<sup>(٤٥)</sup>.

على أن إلا أصبحت عندما أخضع التابعين والعصاة ودعم سلطته بأثيوبيا، أصبح مهيباً للقيام بعمليات عسكرية بالجنوب العربي.

### ج- نتائج الاضطهاد

قراءة عام 524 أصبح الجو السياسي على غاية الاستعداد، فتجدد، وتدعم بصورة نهائية الحلف السياسي والعسكري للإمبراطورية الرومية الشرقية مع مملكة أكسوم، ونصارى الجنوب العربي، الموجه ضد ذي نواس، على اللحظة الحاسمة لتنفيذ خطة الغزو فأرسل الأحباش حملتين إلى بلاد حمير، قتلوا أشاءها ملك حمير، وأقيال من الحميريين<sup>(٤٦)</sup>.

وتسلم سمينع أشوع لقب ملك، وشغل عرش حمير مع الاعتراف بالتبعية لـ "إلا أصبحت"، ودفعه الإتاوة له<sup>(٤٧)</sup>.

---

(1) كريستنسن: إيران في عهد الساسانيين 345 وما بعد

(2) كوبيشانوف: الشمال الشرقي الإفريقي ص 60

(3) استشهاد الحارث ص 422 ملحق بكتاب كوبيشانوف الشمال الشرقي الإفريقي، الشهداء الحميريون

ص 121، كوبيشانوف: الشمال الشرقي الإفريقي ص 83 وينظر في الفصل الثاني.

(4) الشهداء الحميريون ص 77-122

كوبيشانوف: الشمال الشرقي الإفريقي ص 87-89.

جواد: تاريخ العرب 182/3-194

نيلسن: التاريخ العربي القديم 109

الشاعر: السياسة الشرقية للإمبراطورية البيزنطية 178

وينظر في الفصل الثاني.

1) الاحتلال الحبشي لليمن: تحولت حمير إلى دولة تابعة أو تعترف بالتبعية لأكسوم، ولكنها تتمتع بحكم ذاتي وكان رأسها هو سميئع أشوع "ملك سبأ وذو ريدان، وحضرموت ويمنات، وأعرابهم في النجاد والتهائم" (ع).

وخضع ملك حمير الأقيال المحليون، وجميع السكان الأصليين للبلاد أما قادة الوحدات العسكرية الأثيوبية، فقد شكلوا مجلساً استشارياً، كان من بين مهامه الرسمية حماية الملك من أعدائه، فمن الطبيعي أن يعمل ملك حمير حساباً لقرارات هذا المجلس الاستشاري ومن الممكن أن رئيس المجلس الاستشاري للقادة الأثيوبيين، كان ممثلاً خاصاً لملك أكسوم، ولعله أرياط، ومن المرجح أن هؤلاء القادة، كان تحت إمرتهم قوة عسكرية أكبر مما كان لملك حمير (ه).

لذا كان سلطان سميئع أشوع مهتزاً، استنتج ذلك من سقوطه السريع فقد قلب من العرش، واعتقل بأحد الحصون (و).

فما كان من بيزنطة إلا اتخاذ موقف عدائي من خليفته، ومرد ذلك أن سميئع أشوع دخل مع بيزنطة في اتصال وثيق لتهديد قوات الفرس، وحلفائهم اللخمييين وجهد لأرضاء مطالب السياسة البيزنطية.

ولعل بيزنطة كانت تخشى فيما يبدو منافسة أكسوم التي كانت تجهد بدورها، لاستعادة نفوذها المهتز بالجزيرة العربية، فالأخبار العربية تحفظ أخبار الصراع بين نجاشي الحبشة - (المتمثل بشخص أرياط) وبين أبرهة، وذلك بقوله له: "إنه يجمعني وإياك البلاد والدين والواجب علي وعليك أن ننظر لأهل بلادنا، وديننا ممن معي ومعك" (ي).

فأبى أرياط، وقتل في المعركة وهذا دليل على أن أبرهة استطاع أن يهزم جيش

---

(1) كوبيشانوف: الشمال الشرقي الإفريقي 89.

جواد: تاريخ العرب 191/3 192 نقلا عن بروكوبيوس.

(2) كوبيشانوف: الشمال الشرقي الإفريقي ص 90 - 91

(3) كوبيشانوف: الشمال الشرقي الإفريقي ص 112.

بيوتروفسكي: اليمن قبل الإسلام ص 79.

جواد: تاريخ العرب 191/3 وما بعد

(4) الطبري: تاريخ الرسل والملوك 128/2

وينظر ابن خلدون: العبر 60/2 - 61

أكسوم الذي أرسل ضده وأما موقف الحميريين من أبرهة، فيبدو أنه كان حيادياً، فلم يسمع عن قتال للحميريين ضد أبرهة، بل لربما ساند بعضهم أبرهة.

وغير مستبعد أن تكون بيزنطة قد عاونت أبرهة في ذلك، فالنصرانية ظلت عقيدة حمير الرسمية، وبذلك حافظت على الصلة الدينية، والروحية مع الإمبراطورية البيزنطية. والسؤال الذي يطرح نفسه هنا، هل أبرهة في نزاعه مع أكسوم (المونوفيزية) عاضد بيزنطة (الأرثوذكسية) بمعنى هل تحول إلى الأرثوذكسية؟ لقد صمتت المصادر عن ذكر ذلك.

لكن كان من مصلحة بيزنطة، ومن مصلحة حمير على السواء " أن تضع البحر الأحمر، والطرق الموازية لساحله تحت هيمنة ذلك الحلف الذي كان في جوهره موجهاً ضد إيران<sup>(١)</sup>، فلأجل ذلك وجد بعض التقارب بينهما.

فقد كانت سياسة بيزنطة موجهة إلى محاولة احتواء العربية الجنوبية عن طريق دولة مسيحية صديقة حتى تبعد المنطقة عن النفوذ الفارسي، فسنحت الفرصة لها بذلك بعد حادثة الأخدود واضطهاد المسيحيين واستجادهم بالبيزنطيين، والأمر الذي جعل البيزنطيين يطلبون من الحبشة، ومن النجاشي، وهو ملك أقرب دولة مسيحية للمنطقة، ليخف لنجدة المسيحيين، وكان يعمل في حقيقة الأمر على مد نفوذه على العربية الجنوبية حتى يبعدها عن نفوذ الإمبراطورية الفارسية التي كانت تسعى جاهدة، لأن تجد موطئ قدم في المنطقة.

ولكن الأحباش الذين دخلوا كمنجدين، بقوا كمستعمرين لمدة نصف قرن حتى عام 575.

(2) الاحتلال الفارسي لليمن: " عندما مات أبرهة شغل عرش حمير ابنه أكسوم الذي كان شراً من أبيه وأخبط سيرة<sup>(٣)</sup>، لأنه عرض الحميريين للبلاء، الأمر الذي جعل الحميريين يطلبون المساعدة من الفرس، الذين كانت لهم أطماع سياسية واقتصادية في

(1) بيغوليفسكايا: العرب على حدود بيزنطة وإيران 104-105.

كويشافوف: الشمال الشرقي الإفريقي 137.

(2) الطبري: تاريخ الرسل والملوك 139/2.

ابن الأثير: الكامل في التاريخ 446/1.

تاريخ الخميس 192.

ابن كثير: البداية والنهاية 221/2.

الهيمنة على اليمن والجزيرة العربية بكاملها لتمرير تجارة الشرق الأقصى وبحر العرب، وبالتالي استغلال خيرات الجزيرة ومواردها ومرافقها، وجلب العرب إلى جانبهم وتجنيد إمكانياتهم، وتوظيفها لإحباط مشاريع البيزنطيين والأحباش التوسعية في المنطقة العربية، وكما لوحظ سابقاً اتخذوا الدين وسيلة لتحقيق أهدافهم الاستراتيجية، وسعوا لنشر المذاهب النصرانية المعارضة لمذهب الروم، والأحباش، ولتأييد اليهودية كذلك، وهي معارضة لسياسة البيزنطيين أيضاً ولم تكن ديانة الفرس نصرانية ولا يهودية.

وجاءت اللحظة التي طالما انتظرها الفرس، وبمساعدة السكان المحليين انتصر الفرس على الأحباش فتخلص الحميريون من حكم أجنبي لينقلوا إلى حكم آخر.

وتبدل الوضع السياسي لبلاد حمير، فأصبح اللخميون حلفاء لهم، وبذا فإن جميع بلاد العرب باستثناء الأطراف الشمالية الغربية لشبه الجزيرة العربية اتحدت تحت هيمنة الفرس.

وفيما بعد بدأت ملامح الاستقلال من قبل بعض الممالك، وتحول الجنوب العربي إلى مملكة تدين بالتبعية للفرس، أو ولاية من ولايات الدولة الساسانية، وكانت هذه بداية سياسة جديدة للفرس بالجزيرة العربية.

واستمرت السيادة الفارسية بالجزيرة العربية إلى لحظة توحيدها على يد المسلمين في الأعوام 628 - 630.

ومن الطبيعي أن الجاليات اليهودية والوثنية باليمن قد دعمت من وضعها، وبقيت إلى لحظة الإسلام وما بعد ذلك موجودة في اليمن<sup>(١)</sup>.

أما غالبية السكان فقد ظلت على النصرانية ولم تتعرض للاضطهاد بسبب عقيدتها. والجدير بالملاحظة أن أكسوم لم تحرك ساكناً أثناء دخول الفرس للجنوب العربي، أما الذين تقاتل الفرس وأقيال الحميريين معهم فلم يكونوا الأكسوميين، بل نسل جند المستوطنات العسكرية التي استقرت ببلاد العرب، ولم يعثر البتة على معلومات عن تدخل أكسوم في هذا النزاع، على ما يبدو اقتنعت بأن القيام بمحاولة لإخضاع الجنوب العربي لم تكن نيتها في أحسن الظروف إلا نجاحاً مؤقتاً يعقبه إما ثورة للسكان ضد الأثيوبيين النازلين بينهم، أو ثورة لأهل المستوطنات الأثيوبية أنفسهم أو الانفصال الفعلي للتابعين لأكسوم عن حكومة (ملك الملوك). ومن ثم فإن الأكسوميين تحاشوا الاشتباك

(١) كوبيشانوف: الشمال الشرقي الإفريقي ص 88

في قتال مباشر مع دولة الساسانيين. وفي هذه المرة، فإن تطور الأحداث بالجزيرة العربية لم يسق إلى حرب فارسية أثيوبية.